

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[39] سبقوكم، وذوقوا نفس مصيرهم الذّار (قال ادخلوا في أُمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في الذّار). إنّ هذا الأمر يمكن أن يكون بشكل أمر تكويني، يعني أن يجعلهم جميعاً في مكان واحد، أو يكون شبيهاً بأمر تشريعي يصدر إليهم يسمعون به بآذانهم، ويكونون مجبورين على إطاعته. وعندما يدخل الجميع في الذّار تبدأ مصادماتهم مع زملائهم وأشباههم في المسلك، وهي مصادمات عجيبة، فكلّما دخلت جماعة منهم في الذّار لعنت الأخرى واعتبرتها سبباً لشقائها ومسؤولية عن بلائها ومحنتها (كلّما دخلت أُمّة لعنت أختها). (1) ولعلنا قلنا مراراً: إنّ ساحة القيامة وما يجري فيها انعكاس واسع وكبير لمجريات هذه الدنيا. فلطالما رأينا في هذا العالم الجماعات والفرق والأحزاب المنحرفة تلعن إحداها الأخرى، وتبدي تنفرها منها. على العكس من أنبياء الله، والمؤمنين الصالحين، والمصلحين الخيّرين، فإنّ كل واحد منهم يؤيّد برنامج الآخر، ويعلن عن ارتباطه به واتحاده معه في الأهداف والغايات. إلّا أنّ الأمر لا ينتهي إلى هذا الحدّ، بل عندما يستقر الجميع - بمنتهى الذلّة والصغار - في الجحيم والعذاب الأليم، تبدأ كل واحدة منها برفع شكائتها إلى الله من الأخرى. ففي البداية يبدأ المخدوعون المغرّرون بهم بعرض شكائتهم، وحيث أنّهم لا يجدون مناصاً ممّا هم فيه يقولون: ربّنا إنّ هؤلاء المغوين هم الذين أضلونا وخدعونا، فضعف يا ربّ عذابهم، عذاباً لصلالهم وعذاباً لإضلالهم إيّانا. وهذا هو ما يتضمّن قوله تعالى: (حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أوراها لأوليهم _____ 1 - التعبير بالاخت كناية عن الارتباط الفكري والصلّة الروحية بين هذه الفرق المنحرفة، وحيث أنّ الأُمّة مؤنث لفظي، لهذا عبّر عنها بالاخت، لا الأخ.